

تفسير ابن كثير

الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ^{قُلْ} وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ
عَذَابًا مُهِينًا

يقول تعالى ذاما الذين يبخلون بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم الله به - من بر الوالدين ،
والإحسان إلى الأقارب واليتامى والمساكين ، والجار ذي القربى ، والجار الجنب ،
والصاحب بالجنب ، وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم من الأرقاء - ولا يدفعون حق الله
فيها ، ويأمرون الناس بالبخل أيضا . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وأي داء
أدوأ من البخل ؟ " . وقال : " إياكم والشح ، فإنه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالقطيعة
فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا " . وقوله : (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) فالبخل
جحود لنعمة الله عليه لا تظهر عليه ولا تبين ، لا في أكله ولا في ملبسه ، ولا في
إعطائه وبذله ، كما قال تعالى : (إن الإنسان لربه لكنود . وإنه على ذلك لشهيد) [
العاديات : 6 ، 7] أي : بحاله وشمائله ، (وإنه لحب الخير لشديد) [العاديات : 8]
وقال هاهنا : (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) ولهذا توعدهم بقوله : (وأعتدنا

للكافرين عذابا مهينا) والكفر هو الستر والتغطية ، فالبخيل يستر نعمة الله عليه ويكتمها
ويجحدّها ، فهو كافر لنعم الله عليه . وفي الحديث : " إن الله إذا أنعم نعمة على عبد أحب
أن يظهر أثرها عليه " وفي الدعاء النبوي : " واجعلنا شاكرين لنعمتك ، مثنين بها عليك
قابليها - ويروى : قائلها - وأتممها علينا " . وقد حمل بعض السلف هذه الآية على بخل
اليهود بإظهار العلم الذي عندهم ، من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وكتمانهم ذلك ؛
ولهذا قال : (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) رواه ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد
، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . وقاله مجاهد وغير واحد . ولا شك أن
الآية محتملة لذلك ، والظاهر أن السياق في البخل بالمال ، وإن كان البخل بالعلم داخلا
في ذلك بطريق الأولى ؛ فإن سياق الكلام في الإنفاق على الأقارب والضعفاء ، وكذا
الآية التي بعدها ، وهي قوله :